

أ.د. محمد السعيد جمال الدين رئيس قسم اللغات والآداب
الشرقية.. بجامعة عين شمس:

اللغة الفارسية أكثر اللغات إرتباطاً باللغة العربية والحضارة الإسلامية

حاوره في القاهرة:
محمد عبد الشافي القوصي

لاتزال المكتبة العربية تعاني من نقص في فرع «الأدب الإسلامي».. وخاصة في الأدب المقارن.. فكثير من المثقفين والباحثين يجهلون آداب الأمم الإسلامية الأخرى - أي الشعوب غير الناطقة بالعربية. مع أن هذه الشعوب المسلمة أبدعت آداباً رائعة وثرية.

فإلى أي مدى تصل أهمية معرفة آداب الأمم الشرقية ودراستها.. وأين موقع الأدب العربي في اللغات الشرقية؟ وماهي أوجه التشابه والاختلاف بين أدبنا وأدبهم؟ وكيف تأثر أدباؤهم بتراثنا وثقافتنا العربية؟ ومن هم أشهر أدباء اللغات الشرقية؟ وماهي أهم أعمالهم وروائعهم؟ ثم ماهي العقبات التي تعترض مسيرة ترجمة آداب الأمم الأخرى..؟!

حول هذه التساؤلات.. التقينا بسعادة الدكتور/ محمد السعيد جمال الدين - أستاذ اللغات والآداب الشرقية - بكلية الآداب، ورئيس القسم بجامعة عين شمس.. وسألناه:

* إلى أي مدى تصل أهمية الاطلاع ومعرفة لغات الأمم الشرقية (الإسلامية) ودراستها؟! *

** لغات الأمم الإسلامية الموجودة في آسيا الوسطى والهضبة الإيرانية وشبه القارة الهندية.. لهذه الأمم آداب عريقة عبرت عنها من خلال لغات نشأت وترعرت في حب اللغة العربية.. ولعل أهم هذه اللغات: اللغة الفارسية والتركية والأردية.. ولعل الفارسية تحظى بعناية الدارسين أكثر من غيرها.. باعتبارها عصب اللغات الشرقية الإسلامية قاطبة. وللفارسية قصة في علاقاتها باللغة العربية ينبغي أن تروى لبيان ما بلغته العلاقة بينها وبين العربية من قوة وإحكام.

فالفارسية نسبة إلى الفرس الذين كانوا يمثلون مع الروم أمتين عظيمتين تسيدتا العالم، وكانت الفارسية قبل الإسلام هي لغة تلك المنطقة الكبيرة التي سيطرت عليها الدولة الساسانية. ثم لما جاء الإسلام انتشر بين الفرس أنفسهم خرجوا طوعاً عن ديانتهم القديمة، وأقبلوا على دين الله أفواجا.. ليس هذا فحسب، بل تخلوا عن لغتهم القديمة التي كانت تسمى بالبهلوية.. واستخدموا اللغة العربية لغة القرآن والدين الجديد.. شأنهم في ذلك شأن كل الأمم التي أقبلت على اعتناق الإسلام في الشام وفلسطين ومصر وشمال أفريقيا.

لكنهم بعد قرنين من الزمان، وبعد أن تأصلت اللغة العربية في نفوسهم واتخذوها لغة لهم.. وبعد أن هجروا لغتهم (البهلوية) - التي تحولت إلى لهجة عامية غير صالحة للكتابة أو الأغراض العلمية والأدبية أقول.. لكنهم عادوا - مرة أخرى - إلى إحياء تلك اللغة القديمة، مع أنهم حينما أرادوا إحياءها رأوا ضرورة الاستعانة باللغة العربية التي برعوا فيها، حيث أخذوا من العربية عدداً كبيراً جداً من الألفاظ والمصطلحات الدينية والعلمية والأدبية والفلسفية وغيرها.. ولذلك نجد اللغة الفارسية التي بين أيدينا الآن يتكلمها شعبان من أكبر الشعوب الإسلامية وأكثرها إسهاماً في خدمة الحضارة الإسلامية. وهما: الإيرانيون والأفغان.. وهي مملوءة بالألفاظ العربية ومكتوبة بالخط العربي، وهي من أسهل اللغات

وأيسرها على الطالب العادي، والواقع أن الفارسية نقلت خصائصها وجمالياتها من استخدام الخط والمصطلحات العربية إلى سائر لغات العالم الإسلامي.. فالتركية - حتى إلى عهد أتاتورك - والأردية، والبشتونية وغيرها من اللغات الإسلامية، إنما تكتب بالخط العربي، وتستخدم بكثرة الألفاظ والمصطلحات العربية.

وهذا يدلنا على مدى الصلة الوثيقة التي تربط العربية بهذه المجموعة من اللغات الإسلامية.. فهذه لاتجد غضاضة في الأخذ من العربية، لأن «العربية» بالنسبة لهذه الشعوب الإسلامية ليست لغة قومية - بمعنى - أنها لغة قوم من الأقوام، بل هي اللغة الأولى للمسلمين..

ولذلك نجد حتى وقتنا هذا الكثير من الشعراء والأدباء لكي يبدو المدى الذي وصلوا إليه من العلم والثقافة، فإنهم يكثر من استخدام العناصر العربية في لغتهم وأسلوبهم..

روح الأخوة الإسلامية بين الشعوب:-

* أما عن اتصالنا بهذه اللغات فهو أمر ضروري للتواصل مع أهلها مثلما تبدو اللغات الأوربية ضرورية للتواصل مع الأوربيين والأمريكان وغيرهم.

** فضلاً على أن هذه اللغات والآداب تعبر عن جانب كبير من الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي -

وهي بحد ذاتها - جزء من التراث الإسلامي لا يمكن أن نغض البصر عنه. ولذلك تعد هذه اللغات والآداب من الوجهة العلمية مكمل الجوانب العربية المناظرة لها فلا تكتمل معرفة دارسي التاريخ الإسلامي ولا الفلسفة الإسلامية ولا الأدب العربي بدراسة التاريخ والفلسفة والأدب المدون بالفارسية.. كذلك لا تكتمل صورة تاريخ العالم الإسلامي الحديث لدى الطالب أو المثقف العربي ما لم يكن على علم ودراية بالفكر التركي العثماني والفكر التركي الحديث أو على دراية بعوامل الشد والجذب القائمة بين الشعوب الإسلامية المعاصرة التي نجحت الثقافة الغربية في إثارة نزعة القوميات بينها فغطت هذه النزعة - مؤخراً - على روح الأخوة الإسلامية التي طالما ربطت بين هذه الشعوب وصهرتها في بوتقة واحدة، ووجهتها وجهة واحدة.

• التأثير بأدب المستعمرين أغلق قنوات الإتصال بين آداب الشعوب الإسلامية واللغة العربية

• الأدب الفارسي أكثر الآداب الإسلامية تأثيراً باللغة العربية



* أين موقع
الأدب العربي في
اللغات الإسلامية
الشرقية ؟

** بصراحة..

يحتل أدبنا العربي

موقع القلب في تلك الآداب الشرقية وقد ظل الأدباء الإسلاميون طوال القرون الماضية ينظرون إلى الأدب العربي على أنه أهم عناصر الإبداع في فنهم دون أن يفقدوا خصائصهم الإبداعية الذاتية، ولا أرادوا أن يغفلوا عن الطاقات الإبداعية للغاتهم القومية، ولكن الأمر تغير في العصر الحديث، حين اتجه الأدباء العرب، ومن بعدهم الأدباء الإسلاميون إلى الآداب الغربية ينهلون منها، ولذلك تراجع موقع الأدب العربي الحديث إلى حد كبير ولم يعد مؤثراً - بدرجة كبيرة في آداب الشعوب الإسلامية.

نعم.. لقد أثر الرواد العرب فيمن عاصروهم من أدباء الفرس - بصفة خاصة - حين ترجمت أعمال أدبائنا الرواد كالاستاذ محمد حسين هيكل، والعقاد، والزيات، وطه حسين والمنفلوطي.. وغيرهم - إلى اللغة الفارسية، ووجدت هذه الأعمال صدقاً في الأدب الفارسي الحديث، غير أن التوجه الجماعي لكل الأدباء الإسلاميين نحو استلهاهم روح الآداب الغربية وأطرها وموضوعاتها ونماذجها وشخصياتها قد باعد بين الجميع وبين تراثهم المشترك الذي كان يعد منهلاً يأخذ منه الجميع، ثم يصدرون عنه بعد ذلك في إبداعاتهم الفنية والفكرية.

* من وجهة نظركم - ماهي أوجه التشابه والاختلاف بين الأدب العربي من ناحية وبين الآداب الشرقية من ناحية أخرى؟

** إذا نظرنا إلى التشابه بين الآداب الإسلامية كلها بما فيها الأدب العربي فإننا نجد أن الموضوع أو المضمون الذي يعبر عنه الشاعر الإسلامي سواء بالعربية أو الفارسية أو التركية يكاد يكون واحداً، بل قل هو موضوع أو مضمون واحد بحكم الثقافة والفكر المشترك بينهم.. أما الشكل فلا بد أن يختلف باختلاف الذوق - بحكم

البيئة، وخصائص الثقافة المتعلقة بالتقاليد والأعراف السائدة في المجتمعات الإسلامية، ورؤية الشاعر الفنية نفسه،

وطاقاته الإبداعية.. كل ذلك يحدث فيه نوعاً من الاختلاف في الرؤى الفنية بين الشاعر العربي وأخيه غير العربي.. وإذا ضربنا - مثلاً على ذلك - نجد قصة "ليلي والمجنون" انتقلت من الأدب العربي إلى سائر الآداب الإسلامية الأخرى، فقد كان للقصة خصائص فنية وموضوعية مرتبطة بالمرسح الذي جرت فيه الأحداث في الصحراء.. لكنها حينما نقلت إلى الفارسية تبدل المسرح بحكم بيئة الشاعر، وأصبح عبارة عن حقائق غناء، ورياضاً مملوءة بالزهور والرياحين. ولا شك أن

الشاعر الفارسي - هنا - لا يعبر عن البيئة الصحراوية التي لم يألّفها، وإنما يعبر عن بيئته هو نفسه!

* قيم تأثر أدباء الأمم الإسلامية بالأدب العربي - وكيف؟ ومن أشهر هؤلاء الأدباء، وما هي أبرز أعمالهم الإبداعية...؟

** يحظى الأدب الفارسي دون غيره من الآداب الإسلامية بطابع عالمية، وذلك بسبب عناية الشعراء الفرس قاطبة بالجوانب الإنسانية المشتركة بين البشر جميعاً، ولا أدل على ذلك من قصة "مجنون ليلي"، فقد أخرج أدباء الفرس "قيس" عن حالته التاريخية كإنسان عاش في عصر معين، وعانى تجربة بذاتها - وهي تجربة العشق.. (وهو الأمر الذي عني

به الأدب العربي عناية فائقة..) فأضفوا عليه طابع الإنسانية بمعنى أن ما حدث له يمكن أن يحدث لأي فرد من أفراد البشر.. وفي أي عصر من العصور... هذه العناية بالجانب الإنساني في الشخصيات والأحداث هي التي رفعت من قدر عدد كبير جداً من شعراء الفرس، ودفعت بهم إلى مصاف الأدباء العالميين - ونذكر منهم على سبيل المثال:- حافظ الشيرازي - وسعدي الشيرازي وجلال الدين الرومي وسانائي الغزنوي وعبدالرحمن الجامي - هذه أسماء لشعراء فرس - لكنهم بفكرهم وأدبهم وفنهم ليسوا ملكاً للفرس وحدهم، أو للمسلمين خاصة - بل هم ملك للعالم أجمع.

* تخلى الفرس بعد إسلامهم عن لغتهم القديمة التي كانت تسمى بالـهـلـوـية.. واستخدموا اللغة العربية لغة القرآن والدين الجديد.